الباب الأول

الفصل الأول

ملامح الجندية فى الإسلام

الجندية فى الإسلام تتميز بملامح لا توجد فى غيرها ،ولا يشاركها فيها جيش من الجيوش مهما كانت قدراته وخصائصه ، وتلك الملامح تبرز أشد ما تكون وضوحا فى حالة الجيش النفسية وروحه المعنوية ذلك لأن الجيش الإسلامى يستمد قوته دائما من الله – عز وجل – لا من السلاح الذى يملكه ، ولا من التدريب الذى يتقنه ، ولا من العدد الذى يتكون منه .

إن الميزة الأولى للجيش الإسلامى هى حسن صلته بالله وعظيم توكله عليه. فالجيش الإسلامى لم يكن يوما ما أكثر عددا من عدوه ، ولا أقوى عدة من خصمه ، ولا أحسن تدريبا ممن يتربصون به ، ومع ذلك كان يحقق انتصارات مذهلة ، فكيف ذلك ؟ .

إن أحدا من الناس مهما بلغ حقده لا يستطيع أن يقول.إن ذلك كان محض مصادفة لأن المصادفة لا تتكرر دائما ، وإلا لم تكن مصادفة ، ولا يستطيع أحد أن يقول إن الجيش الإسلامى حقق تلك الانتصارات بأسباب مادية فى مقدور أى جيش أن يحقق مثل هذه الانتصارات إذا استحوذ عليها ، لأن الجيش الإسلامى لم يملك قط من الأسباب المادية ما يجعله متفوقا بها على غيره .

تلك حقيقة لا يختلف فيها اثنان لأن الواقع التاريخى ، والأحداث المواكبة له شاهدان عدلان فى مثل تلك المواقف .

ونحن نسأل الذين يدعون ذلك أى معركة تلك التى كان الجيش الإسلامى متفوقا فيها على غيره ؟ .

ونريد منهم أن يذكروا لنا معركة واحدة ، وحينئذ نسلم لهم بما يدعون . إن الجيش الإسلامى حتى يوم كان يقاتل فى الجزيرة العربية ، ولم يخرج بعد منها كان فى أغلب المعارك على الثلث من جيش عدوه ، ففى غزوة بدر كان عدده ثلاثمائة وتزيد قليلا ، وكان يواجه ألفا من المشركين وفى غزوة أحد كان قوامه سبعمائة مقاتل وتصدى لثلاثة آلاف وفى غزوة الأحزاب كان المسلمون ثلاثة آلاف يواجهون عشرة آلاف وهكذا فى كل المعارك التى خاضها ضد أعدائه .

ولما كثر عددهم فى غزوة حنين ، واعتمدوا على كثرتهم ، وظنوا أنهم لن يهزموا لوفرتهم كانت الهزيمة ، وكان التولى ، وتركوا رسول الله ﷺ فى الميدان ومعه قلة من أصحابه ، وعلى يد هذه القلة جاء نصر الله .

وكان ما كان فى غزوة حنين ليعلِّم المسلمين أن قوتهم ليست فى كثرتهم وأن اعتمادهم على الكثرة سيؤدى بهم لا محالة إلى الهزيمة والخذلان ، فعليهم أن يحسنوا صلتهم بالله ، وألا يعتمدوا على سواه حتى يتحقق لهم النصر على أعدائهم .

إن حسن الصلة بالله – عز وجل – يعطى الجيش قوة معنوية لا يقدرها إلا الذين يعيشون فى هذا المجال الربانى الكريم ، إن الله قوى لا يغلبه غالب ، عزيز لا تقهره قوة ، وحسن الصلة به يدخل المؤمنين فى دائرة العزة والغلبة ، فيشملهم الله بعنايته ، ويكلؤهم برعايته ، فلا تتغلب عليهم قوة ، ولا ينتصر عليهم عدو ، وذلك هو ما كان بالنسبة للمسلمين فى معاركهم مع عدو الله وعدوهم .

إن المسلمين وهم يقاتلون أعداءهم ، لا يقاتلونهم لغرض السيطرة عليهم ولا يقاتلونهم لاستعبادهم واستذلالهم ، ولا يقاتلونهم لاستلاب أرزاقهم واستغلال خيرات بلادهم ، إنما يقاتلونهم لإعلاء كلمة الله ونصرة دين الله ، ونشر الدعوة فى أرض الله ، لهذا كان الله – عز وجل – معهم وكان لزاما أن ينتصروا على عدو الله وعدوهم .

وجميل التوكل على الله ، معناه التفويض والاستسلام لأمر الله ، والله – تبارك وتعالى – لا يسلم من فوض أمره إليه ، ولا يخذل من استسلم له ، لأن

ذلك الفعل قبيح لا يليق بجلاله وكماله ، وهو – عز وجل – قد وعد المؤمنين به النصر ، ووعده لا يتخلف ﴿ إنا لننصر رسلنا والذين آمنوا فى الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ﴾[1] .

على أنه ينبغى أن ننبه على أن حسن الصلة بالله وجميل التوكل عليه – سبحانه – يجب أن يكون صفة ملازمة للجيش فى سلمه وحربه ، وحله وترحاله ، وليله ونهاره ، حتى يستأهل بذلك النصر ، أما أن يلجأ إلى ذلك عند الكرب ، وفى حالة إحاطة العدو به ، فذلك ليس شأن المؤمنين ، نعم ، إن اللجوء إلى الله فى وقت الكرب مطلوب ، والتضرع إليه – جل شأنه – عند النوازل مما يقرب فرجه ، ولكن حسن الصلة به فى الرخاء ، يجعل نصره أقرب ما يكون منك فى الشدة ، والتوكل عليه – جل جلاله – فى السراء يجعل عونه معك فى الضراء .

وفى الحديث الشريف : « تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة »[2] .

إن حسن صلتك بالله – تبارك وتعالى – وجميل توكلك عليه فى وقت يسرك ورخائك ، دليل على مداومة ذكره ، ومداومة الذكر تقرب وتودد إلى الله يحبه ويرضاه من عباده ، بل هو – سبحانه – هو الذى أمرهم به ، وحثهم عليه .

قال – تبارك وتعالى –: ﴿ يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا وسبحوه بكرة وأصيلا ﴾[3] .

ذلك لأن المسلم مادام يذكر الله ، فالله – عز وجل – يذكره ولا ينساه ﴿ فاذكرونى أذكركم ﴾[4] .

---

(١) سورة غافر : الآية ٥١ .
(٢) رواه ابن بشران فى أماليه ورمز له السيوطى بدرجة حسن .
(٣) سورة الأحزاب : الآية ٤١ ، ٤٢ .
(٤) سورة البقرة : الآية ١٥٢ .

وبالطريقة نفسها التى تذكر الله بها يذكرك – جلا وعلا – يقول سبحانه – فى الحديث القدسى : « أنا عند ظن عبدى بى ، وأنا معه إذا ذكرنى ، فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى ، وإن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خير منه »(١) .

فالصلة بالله تجعل المرء دائما فى كنف الله ، ومن كان فى كنف الله لا يغلبه غالب ، ولا تهزمه قوة .

الميزة الثانية للجيش الإسلامى أن النصر معقود بلوائه ، فلا يهزم إلا بمعصية أو مخالفة ، لأن الله – تعالى – قد ضمن له النصر مادام فى طاعة الله ، وهذا هو السر فى الانتصارات المتوالية التى حققها المسلمون فى الجزيرة العربية وخارجها ، ولهذا لما تأخر النصر فى إحدى المعارك كتب عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – إلى الجيش يأمره بالاستغفار والتوبة ، ويطلب من الجنود الإقلاع عن المعاصى وقال : « إننى أخاف عليكم من ذنوبكم أكثر مما أخاف عليكم من عدوكم » .

ذلك لأن العدو مهما كانت قوته وكثرته ، ومهما كان عدده وعتاده فإنه لن يغلب الله – سبحانه – ولأن العدو حينما يحارب المسلمين إنما يحارب جند الله ، وجند الله هم الغالبون .

وأما الذنوب فإنها تبعد الجيش عن ساحة نصر الله ، وتدنيه من الهزيمة لأننا إنما ننتصر بالطاعة ، فإذا ارتكبت المعاصى لم يكن هناك فرق بين المسلمين وغيرهم ، وكان للعدو فضل الكثرة فى العدد والقوة فى التدريب ، و التفوق فى العتاد ، فلا بد أن تكون الغلبة له ، لأننا والحالة هذه قد تخلينا عن أسباب نصرنا .

إننا نحن المسلمين نعتقد أن النصر من عند الله ، يمنحه من يشاء من عباده المؤمنين ، وما علينا إلا أن نتخذ الأسباب المؤدية إليه ، لأن ترك الأسباب تفريط

---

(١) رواه الشيخان .

نهى عنه الإسلام ، وتواكل لا يليق بالمؤمنين الواعين ، ألم تر إلى ذلك الأعرابى الذى جاء إلى رسول الله ﷺ وقال : يا رسول الله ، ناقتى بالباب أأتركها وأتوكل ، فقال الرسول ﷺ : « اعقلها وتوكل »[1] .

والحديث وإن قيل بضعفه إلا أن له شواهد كثيرة تقويه كقول الصحابة للرسول ﷺ مادام الله قد كتب علينا كل شيء ففيم العمل ؟ فقال ﷺ : « اعملوا فكل ميسر لما خلق له »[2] .

وقول الله – تبارك وتعالى – لمريم وهى نفساء : ﴿ وهزى إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا ﴾[3] .

فقد أمرها الله – سبحانه – باتخاذ الأسباب ليسقط عليها الرطب فتأكل وذلك يكون بهز الشجرة ، وفى هذا المعنى يقول الشاعر :

توكل على الرحمن فى الأمر كله ... ولا تقعدن بالعجز يوما عن الطلب
ألم تر أن الله أوحى لمريم ... وهزى إليك الجذع يساقط الرطب
ولو شاء أن تجنيه من غير هزه ... جنته ولكن كل شيء له سبب

فاتخاذ الأسباب ضرورى فى الإسلام ، ونحن مطالبون به ، فمن قعد ولم يتخذ الأسباب فهو مخالف مخالفة صريحة لتعاليم الإسلام .

ولهذا كان عمر – رضى الله عنه – ينهى المسلمين عن التواكل بقوله : « لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق ، ويقول : اللهم ارزقنى ، وهو يعلم أن السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة » .

ولما زعم بعض الناس أن التوكل وترك الأسباب ليس مخالفا لتوجيهات الإسلام ، واستدلوا على ذلك بقول الرسول ﷺ : « لو أنكم توكلون على الله – تعالى – حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا »[4]

---

(١) رواه الترمذى ورمز له السيوطى بالضعف .
(٢) رواه الطبرانى فى الكبير .
(٣) سورة مريم : الآية ٢٥ .
(٤) رواه أحمد فى المسند .

رد عليهم ذلك الفهم السقيم بما جاء فى الحديث نفسه من قوله ﷺ « تغدو خماصا وتروح بطانا » ولا شك أن غدوها ورواحها سعى فى طلب الرزق ولو لم تغد وتروح ، وبقيت فى عشها لما امتلأت بطونها .

فاتخاذ الأسباب أمر تحتمه شريعتنا ، وعلى المسلمين القادرين أن يلتزموا به ، فشراء الأسلحة واستحداثها ، والتدرب عليها واستعمالها شىء ضرورى للجندى المسلم ، وقد أمر به الله – سبحانه وتعالى – فى قوله الكريم : ﴿ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ، ومن رباط الخيل ﴾[1] .

ولكن لا ينبغى أن يعتمد المسلمون على ذلك ، ولا يجوز أن يعتقدوا أن هذه الأسباب هى تجلب النصر أو تدفع الهزيمة ؛ بل يجب أن يؤمنوا بأن النصر من عند الله وأن هذه وسائل وأسباب قد يأتى معها النصر وقد لا يأتى .

ولكى يثبت القرآن هذا المعنى فى قلوب المؤمنين قال – تعالى – بعدما أمر بالاستعداد ، واتخاذ القوة : ﴿ ترهبون به عدو الله وعدوكم ﴾[1] .

فهذه الأسلحة ، وذلك التدريب للإرهاب لا لجلب النصر ، وحتى الملائكة الذين نزلوا للقتال مع المسلمين فى غزوة بدر لم يجلبوا نصرا ولم يردوا هزيمة ، ولكن كان نزولهم بشرى للمؤمنين ورفعا لمعنوياتهم قال – تعالى – : ﴿ إذ تستغيثون ربكم فاستجاب لكم أنى ممدكم بألف من الملائكة مردفين ، وما جعله الله إلا بشرى ، ولتطمئن به قلوبكم ، وما النصر إلا من عند الله إن الله عزيز حكيم ﴾[2] .

ولعل القارىء الكريم يلاحظ أنى كررت هذا المعنى فى أكثر من موضع بل فى أكثر من كتاب[3] لأنه أمر مهم يجب أن يفهمه المسلمون ، ولا يجوز أن يغيب عن أذهانهم لحظة من اللحظات .

---

(١) سورة الأنفال : الآية ٦٠ .

(٢) سورة الأنفال : الآية ٩ ، ١٠ .

(٣) مثل كتاب هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه ، والقيادة والجندية القسم الأول وغيرهما .

وإننى أعتقد أن غياب هذا المعنى عن قلوب المسلمين هو الذى ألقى الرعب فى قلوبهم من أعدائهم ، بل هو الذى أذلهم فى بلادهم ، وجعلهم نهبا وفريسة لأوهامهم .

إن المسلمين إذا آمنوا بتلك الحقيقة ، وأعدوا ما يستطيعونه لعدوهم ثم اعتمدوا على الله فى حربهم ، لابد أن يحقق الله لهم وعده ، وهو – سبحانه – لا يخلف الميعاد .

ترى كم فى الإيمان بذلك المعنى من دوافع تجعل المسلمين لا يرهبون عدوا ، ولا يخافون من الحرب ؟ وكم فى الإيمان به من قوى معنوية تجعل المسلمين أكثر ثقة بأنفسهم ، وأشد اطمئنانا للنتائج ؟ .

على أنه لا يكفى الإيمان النظرى بتلك الحقيقة ، بل يجب أن يتحول ذلك الإيمان النظرى فى صدور المؤمنين إلى تطبيق عملى يقتحمون به المعارك ، ويردون به اعتداء المعتدين .

إن سلفنا الصالح – رضوان الله عليهم أجمعين – كانوا يقدمون على مواجهة أعدائهم وهم مؤمنون بنصر الله أشد من إيمانهم بوجودهم ، فكانوا لا يشكون فى ذلك لحظة ، ولا يسمحون للشك مهما قويت أسبابه بالتسرب إلى نفوسهم ، وهذا الإيمان هو الذى جعلهم لا يرهبون عدوا ، بل هو الذى دفعهم إلى أن يسيروا لمواجهة عدوهم فى بلاده دون أن يفكروا فى الهزيمة أو يرد ذكر الهزيمة على ألسنتهم .

ولعل الحوار الذى كان يدور بين المسلمين وبين أعدائهم يؤكد لنا ذلك المعنى ، ويصور لنا مقدار اليقين الذى كان فى قلوب المؤمنين ، وسأعيد صورا من هذه الحوادث ليلمس القارىء كم كانت درجة هذا اليقين فى قلوب المسلمين .

فى معركة القادسية لما اضطر رستم قائد الفرس الأعظم إلى مواجهة نزل بكُوثى – مكان قريب من الحيرة – فجيء له برجل من العرب .

سأل رستم العربى فقال : ما جاء بكم وماذا تطلبون ؟

وأجاب العربى – المسلم – فقال : جئنا نطلب موعود الله بملك أرضكم وأبنائكم إن أبيتم أن تسلموا .

قال رستم : فإن قتلتم قبل ذلك ! .

قال المسلم : من قتل منا دخل الجنة ، ومن بقى منا أنجزه الله ما وعده ، فنحن على يقين .

قال رستم : قد وضعنا إذن فى أيديكم ! .

قال المسلم : أعمالكم وضعتكم فأسلمكم الله بها ، فلا يغرنك من ترى حولك ، فإنك لست تجاول الإنس ، إنما تجاول القدر .

وهنا ضرب رستم عنق المسلم[1] .

وتلك حيلة المفلس المذعور ، إن قتل ذلك المسلم لن يؤثر فى جيش المسلمين ، ولن يرهبهم ، وأغلب الظن أن رستم قتل ذلك المسلم لما وجد فى حديثه من الصدق والإيمان ، فخاف أن يرهب جنوده ، ويدب فيهم الوهن فلا يستطيعون لقاء المسلمين ، فقتله آملا أن يحول بين هذا الحديث المملوء بالثقة واليقين بنصر الله وبين آذان جنوده محاولا بذلك أن يرفع من معنويات جنوده بإظهار قوته وعدم مبالاته ولكن هيهات .

تلك صورة من صور عديدة تؤكد إيمان المسلمين بنصر الله لهم على عدوهم ، وهم بهذا الإيمان كانوا يحرزون النصر ، وبه كانوا لا يرهبون الموت ، وكانوا لا يخشون فى الله لومة لائم .

الميزة الثالثة أن الجندى المسلم يقاتل لنشر الدعوة ، وإقامة العدل ومحو الظلم والطغيان ، وتلك خصيصة لم تعرف قبل الجيش الإسلامى ولا بعده على مدى التاريخ .

فمهمة الجنود المسلمين هى الدعوة إلى الله فمن قبلها قبلوا منه وتركوه

---

(١) ابن الأثير : ٢/٤٥٩ .

وبلاده ورجاله وأمواله ، ومن رفضها وأصر على أن يظل على دينه ، فعليه أن يظهر ولاءه وعدم عداوته لهذا الدين بدفع مبلغ رمزى من المال يعلن به حسن نيته وعدم معارضته ، فإن أبى فليس هناك معنى لهذا الإباء إلا العداوة المعلنة للحق وأهله ، وليس لأمثال هؤلاء علاج إلا السيف ، فهذه الرءوس التى صدعها الشرك ، وتلك الأدمغة التى أفسدها الكفر ليس لها إلا أن تستريح من هذا الصداع ، وصدق الشاعر حين يقول :

وسيفى كان فى الهيجا طبيبا يداوى رأس من يشكو الصداعا

إن الجيش الإسلامى لم يفتح البلاد من أجل خيراتها ، ولم يرغب فى استغلال ثرواتها أو استعباد أبنائها ، وإنما خاض المعارك وتحمل المشقات ، وبذل الأرواح والأموال من أجل هداية الناس وسعادتهم .

ونحن لم نسمع قط عن أمة جهزت جيشا ، وأنفقت عليه من حر أموالها ، وجندت فيه خيرة شبابها ، وأمرت عليه الأفذاذ من قوادها لترغم الناس به على قبول سعادتهم ، وتدلهم على سبل الخير والهداية فى حياتهم وآخرتهم .

إن أقصى ما يفعله المصلحون هو بذل النصيحة ، وتقديم الخير للناس عن طريقها ، وهم بذلك يكونون قد أعذروا ، وأدوا ما عليهم نحو أممهم وشعوبهم ، وهم بهذا القدر يدخلون التاريخ من أوسع أبوابه ، وينالون جزاء هذا البذل ثناء الناس العاطر ، وشكرهم الجزيل .

فماذا إذن يكون جزاء هؤلاء الذين ضحوا بأنفسهم وأموالهم وخرجوا من ديارهم وأبنائهم يحملون للناس الخير ، ويهدون لهم السعادة والهناء ؟؟

إن الإنسان ليعجب أشد العجب من رجل يدعو الناس إلى الخير حينما يراه يتفطر قلبه لعدم استجابتهم ، ويسيل دمعه لشرودهم وإبائهم ، فكيف يكون الحال حينما يرى رجلا يندفع إلى الموت لينقذ غيره ؟

تلك هى حقيقة الأمر للجنود المسلمين ، كان الرجل يخرج بنفسه ، ويحمل ماله ، ويهجر أهله وعياله ، ليدعو الناس إلى الحق والخير اللذين آمن بهما ، ويبلغ الأمر إلى حد القتال والموت لحرصه على إدخال الناس فى دين الله ،

لقد كانت تكفيه الكلمة ، حين يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ويكون قد أدى واجبه نحو دينه .

نعم لقد كان يكفيه أن يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر إذا لم يكن هناك طواغيت يصدون الناس عن الدين الحق ، ويصرفونهم عن متابعة الهدى ، أما وقد وجد الطواغيت ،ووقفوا للدعوة بالمرصاد ، وحالوا بين الناس وبين النظر فيها ، وحملوا السلاح دفاعا عن الباطل الذى اعتنقوه لم يكن هناك بد من القتال ، لأن الكلمة الطيبة لا تجد مكانها بين قعقعة السيوف وفرقعة البارود ، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لا يغنى شيئا فى زحمة الميدان ، وتزاحم المقاتلين .

وفى مثل هذه الظروف يشعر الجندى المسلم بثقل التبعة ، وضخامة المسئولية ، فيحمل سلاحه ، ويسرع إلى الميدان ، ويخوض المعارك ليمهد الطريق ويزيل الطواغيت ، ويمنح العقل البشرى حرية التفكير فى هذا الدين الجديد حتى يدخل فيه عن بينة أو ينصرف عن سفاهة وحمق .

إن المسلمين لم يحاربوا قط لاحتلال الأرض ، ولا للسعى على الرزق ، ولا لاستعباد الناس[1] وإنما كانوا يحاربون ، ويتحملون المصاعب والمشقات من أجل إسعاد الناس وإدخالهم فى الخير الذى دخلوه ، وشعروا بقيمته ، وأدركوا حرمان الناس منه لعدم فهمهم له .

لم يكن المسلمون أنانيين يحبون الخير لأنفسهم ، ويكرهونه لغيرهم وإنما كانوا حريصين على أن يعم ذلك الخير كل الناس ، فلا يحرم منه أحد وكان عليهم لتحقيق ذلك أن يعرضوا دينهم على الناس فإن قبلوه وإلا فليحملوا عليه حملا ولو أدى ذلك إلى الاشتباك المسلح .

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السلم

ومثلهم فى ذلك كمثل الطبيب الماهر الذى وضع المريض أمانة بين يديه ، ولم ير له علاجا إلا ببتر عضو من أعضائه ، فماذا ترونه صانعا ؟ .

---

(١) يراجع ذلك بالتفصيل فى كتابنا (هذا الدين بين جهل أبنائه وكيد أعدائه) .

هل تأخذه الشفقة على المريض فيدعه دون أن يبتر ذلك العضو الذى سيؤدى إلى موته وهلاكه ؟ فهو إذن غير أمين .

أم يخشى عليه من التشويه ، ويتغاضى عما به من الآلام ، وتكون النتيجة الحتمية هى الموت والهلاك ؟ فهو إذن قاتل أثيم .

لابد حينئذ من البتر مهما تألم المريض ، ولابد من الاستئصال مهما تشوه ، لأن الألم سيعقبه راحة وهدوء ، والتشويه سيترتب عليه الحياة ولا شك أن المريض نفسه يتشوق إلى الراحة والهدوء وإن لم يعرف طريقهما ويأمل فى الحياة وطول البقاء وإن جهل أسبابهما .

ولا شك كذلك أن المريض سيكره على ذلك إكراها ، وقد يتقبله مرغما حتى إذا ما استرد صحته ، ونعم بالراحة والهدوء سيحمد للطبيب ما فعل وسيعترف بجهله وحمقه حين كان يصر على عدم البتر ، ورفض العلاج .

هذا هو مثل المسلمين وهم يحملون الناس حملا على الدخول فى الإسلام فهل تراهم يريدون بهم إلا الخير ، أو يكنون لهم إلا الحب والإصلاح ؟ .

وليحكم التاريخ بيننا وبين أولئك الذين يزعمون أننا نحارب من أجل السيطرة والتسلط ، أو نقاتل من أجل إجبار الناس وإكراههم على الدخول فى الإسلام .

هذا حوار يرويه الثقات من المؤرخين دار بين رستم أعظم رجال الفرس بعد كسرى ، وبين أحد قواد المسلمين – زهرة بن الحوية – يسأل رستم زهرة فيقول : أرأيت إن أجبت إلى هذا – يعنى الإسلام – ومعى قومى ، كيف يكون أمركم ؟ أترجعون ؟ .

ويجيب زهرة : إى والله .

فيقول رستم : صدقتنى[1] .

---

(١) الكامل لابن الأثير : ٤٦٢/٢

وصورة أخرى لحوار دار بين رستم نفسه وبين ذوى الرأى من المسلمين ، وقد أرسلهم سعد بن أبى وقاص قائد المسلمين ليحاجوه لعلهم يقنعونه بالإسلام ، فلما دخلوا عليه قالوا له : إن أميرنا يدعوك إلى ما هو خير لنا ولك ، العافية أن تقبل ما دعاك إليه ، ونرجع إلى أرضنا وترجع إلى أرضك ، ودارك لكم ، وأمركم فيكم ، وما أصبتم كان زيادة لكم دوننا ، وكنا عونا لكم على أحد إن أرادكم ، فاتق الله ، ولا يكونن هلاك قومك على يدك ، وليس بينك وبين أن تغبط بهذا الأمر إلا أن تدخل فيه ، وتطرد به الشيطان عنك[1] .

وفى كلا الحوارين نجد أن المسلمين مستعدون للعودة إلى بلادهم إذا دخل القوم فى دين الله ، ونرى أكثر من ذلك ، نرى أن رستم نفسه يصدق هذا القول ولا يكذبه ، وذلك دليل على أنه كان يعرف الغاية التى كان المسلمون يجاهدون من أجلها .

ونرى فى الحوار الآخر زيادة توضيح لمن لم يفهم الإشارة الأولى فالمسلمون فيه يقولون لرستم إذا قبلت ما دعوناك إليه رجعنا إلى بلادنا ، وترجع أنت كذلك إلى بلدك ، وتكون بلادكم لكم لا نشاركم فى حكمها ، ويكون أمركم فيكم لا ننتزع الحكم من أيديكم ، بل وأكثر من ذلك إذا اعتدى عليكم معتد كنا عونا لكم عليه حتى نقهره .

فالمسلمون إذن لم يحاربوا للسيطرة وقهر الناس واستعبادهم ، ولم يحاربوا لاستغلال الخيرات وانتزاعها من أيدى أصحابها ، وإنما كان قتالهم من أجل هداية البشرية ، وإرغامها على قبول الخير الذى لم تدرك قيمته بسبب التضليل الذى خدعها به زعماؤها وأولو الأمر من رجالها .

هذه هى أبرز ملامح الجندية الإسلامية ، وليست كل ملامحها ، أردت بذكرها تصحيح بعض المفاهيم الخاطئة التى يكيد بها الأعداء للإسلام وبنيه ، حتى يحذرها المسلمون فلا ينخدعوا بها ، وخاصة وأنها تصدر عن رجال لهم حظوة

---

(١) نفسه ٤٦٦ - ٤٦٧ .

فى المجتمعات ، ولهم منزلة علمية فى الجامعات ، وا سبحوا فى نظر الناس أصحاب الكلمة العليا فى هذا المجال .

كذلك أردت بها التمهيد لما سيأتى بعد من الدراسة حتى يربط القارىء بين سر هذا التفوق ، وبين العوامل التى كانت تصحبه دائما من استقرار النفوس ، واطمئنان السكان ، وإقامة العدل ، والمساواة بين جميع الناس على حد سواء .

إننا إذا أدركنا مدى صلة الجيش بربه ، وجميل توكله عليه أدركنا على الفور سر الانتصارات المذهلة التى أحرزها المسلمون ، لأن الجيش حينئذ يكون متصلا بمصدر إمداداته ، معتمدا على قوة لا تغلب .

وإذا علمنا أن المعاصى هى السر فى هزيمة الجيش ، ورأينا أن المسلمين كانوا فى انتصارات متوالية عرفنا أنهم كانوا بعيدين عن كل ما يغضب الله وهذا هو السر فى استقرار النفوس ، واطمئنان السكان إلى الجنود الفاتحين لأن اضطهاد الناس يسبب لهم قلقا نفسيا خطيرا ، وظلم السكان يحدث لهم اضطرابا سيئا ، وهذا مما يغضب الله لهذا يبتعد عنه المسلمون .

وإذا كانت الفتوحات لنشر الدعوة وهداية الناس وإسعادهم أدركنا سر إقامة العدل والمساواة بين الأمم التى حكمتها الدولة الإسلامية لأن الدين قائم على العدل ، وهداية الناس تقتضى المساواة بينهم .

وهكذا ندرك عند الدراسة الواعية مالم يدركه غيرنا لحرمانهم من هذا الفهم السليم .